١٩

اعتقاد

إسحاق بن إبراهيم الحنظلي
المعروف بـ(ابن راهويه)

(٢٣٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ

وفيه:

مجمل اعتقاد أهل السُّنة والأثر

التعريف بصاحب العقيدة

الاسم: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم بن عبد الله التميمي ثم الحنظلي المروزي نزيل نيسابور.

الكنية: أبو يعقوب.

الشهرة: ابن راهويه.

مولده: (١٦١هـ)

الوفاة: (٢٣٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثناء العلماء عليه:

قال قتيبة بن سعيد: إسحاق إمام.

قال الحميدي: ما دمت بالحجاز، وأحمد بالعراق، وابن راهويه بخراسان؛ لا يغلبنا أحد.

قال نعيم بن حماد: إذا رأيت الخراساني يتكلم في إسحاق؛ فاتهمه في دينه.

قال أحمد: لم يعبر الجسر إلى خراسان مثل إسحاق وإن كان يخالفنا في أشياء، فإن الناس لم يزل يُخالف بعضهم بعضًا.

قال حنبل: سئل أحمد عن إسحاق؟ فقال: مثل إسحاق يُسأل عنه؟! إسحاق عندنا إمام.

قال أبو محمد الدارمي: ساد إسحاق أهل المشرق والمغرب بصدقه.

وقال محمد بن أسلم الطوسي حين مات إسحاق: ما أعلم أحدًا كان أخشى لله من إسحاق.

قال أبو حاتم: إسحاق إمام من أئمة المسلمين.

وقال ابن خزيمة: والله لو كان إسحاق في التابعين لأقروا له بحفظه وعلمه وفقهه.

مصادر الترجمة:

«السِّير» (١١/٣٥٨)، وكتاب «الإمام إسحاق بن إبراهيم وكتابه المسند» للبلوشي.

مصدر العقيدة:

لم أقف على عقيدة مفردة لهذا الإمام، ولم أقف على أحد من أهل العلم جمع أقواله في أبواب الاعتقاد، فلهذا تتبعت أقواله في كتب السُّنة المشهورة واستخرجت أقواله في أبواب السنة والاعتقاد منها، ثم نسقت بينها على حسب تسلسل أبواب عقائد أهل السنة.

وقد اجتهدت أن أسوق أقواله كما هي بحروفها إلا في بعض المواطن اليسيرة، فقد اقتضى الترتيب والتنسيق خلاف ذلك بلا تبديل ولا تحريف لمقصود الإمام.

من أقوال الإمام إسحاق بن راهويه رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١ ـ الإيمان قولٌ وعملٌ، يزيدُ وينقصُ حتَّى لا يبقى منه شيء[(١)].

٢ ـ وليس للإيمان مُنتهى حتَّى نستطيع أن نقول: المرء مستكمل الإيمان؛ لأن جميع الطاعة من الإيمان فلا يمكن أن نشهدَ باستكماله لأحدٍ إلَّا للأنبياء، أو من شهد له الأنبياء بالجنة؛ لأن الأنبياء وإن كانوا أذنبوا فقد غُفِر ذلك الذنب قبل أن يُخلقوا[(٢)].

٣ ـ وأقول: أنا مؤمن إن شاء الله[(٣)].

٤ ـ ومن قال: أنا مؤمن؛ فهو مرجئ. ولا يُصلى خلفه[(٤)].

٥ ـ ومن قال: أنا مؤمنٌ حقًّا. فهو كافِرٌ حَقًّا[(٥)].

٦ ـ ولا نقولُ لرجلٍ: إنه مؤمنٌ باسم الإيمان الذي عليه[(٦)].

٧ ـ ومن قال: الإيمان قول بلا عمل فهو مرجئ[(٧)].

٨ ـ ثم غلت المُرجئة حتَّى صارَ مِن قولِهِم أن قومًا يقولون: مَن تركَ المكتوبات، وصومَ رمضان، والزَّكاةَ والحجَّ وعامَّةَ

---

(١) «السُّنة» لحرب (١٢٠)، و«السُّنة» للخلال (١٠١١ و١٠٤٨)، و«مسائل» الكوسج (٣٥٣٨).

(٢) «السُّنة» للخلال (٩٧٣)، و«مسائل» الكوسج (٣٣٥١).

(٣) «السُّنة» لحرب (١٤٩).

(٤) «مسائل حرب» (الطهارة والصلاة) (٢/ ٥٢٤).

(٥) «السُّنة» لحرب (١٧٢).
وفي «السنة» للخلال (٩٧٥): قال أحمد بن حنبل: لا يُعجبنا أن نقول: مؤمن حقًّا، ولا نُكفِّر من قاله.

(٦) «السُّنة» لحرب (١٦٩).

(٧) «السُّنة» لحرب (١٦٥).

الفرائض مِن غيرِ جُحودٍ بها أنا لا نُكفِّره، يُرجأُ أمره إلى الله بعد إذ هو مُقِرٌّ. فهؤلاءِ المُرجئةُ الذين لا شكَّ فيهم.

ثم هم أصنافٌ منهم من يقول: نحن مؤمنون البتَّة، ولا نقول: عندَ الله، ويرون الإيمان قولًا وعملًا. وهؤلاء أمثلهم.

وفرقةٌ يقولون: الإيمان قول وتصديقه العمل، وليس العمل مِن الإيمان؛ ولكن العمل فريضة، والإيمان هو القول، ويقولون: حسناتُنا مُتقبَّلة، ونحن مؤمنون عند الله، وإيمانُنا وإيمان جبريل واحد.

فهؤلاء الذين جاء فيهم الحديث: أنَّهم المُرجئة التي لُعِنت على لسانِ الأنبياء[(١)].

٩ ـ ولا يُصلى خلف المرجئة[(٢)].

١٠ ـ ومن قال اليوم: الكلمة فقط من غير نُطقٍ؛ فهو جهمي[(٣)].

١١ ـ وقد صحَّ عن رسول الله ﷺ أن تارك الصَّلاة كافر وكذلك كان رأي أهل العلم من لدن النبي ﷺ إلى يومنا هذا أن تارك الصَّلاة عمدًا من غير عذر حتى يذهب وقتها كافر[(٤)].

١٢ ـ واجتمع أهل العلم على أن إبليس إنما ترك السجود لآدم عليه الصَّلاة والسَّلام لأنه كان في نفسه خيرًا من آدم عليه السلام فاستكبر عن السجود لآدم فقال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ١٢﴾ [الأعراف: ١٢].

(١) «السُّنة» لحرب (١٨٩).
(٢) «السُّنة» لحرب (١٧٢).
(٣) «السُّنة» لحرب (١٦٥).
(٤) «تعظيم قدر الصلاة» للمروزي (٩٩٠).

فالنار أقوى من الطين، فلم يشك إبليس في أن الله قد أمره ولا جحد السجود؛ فصار كافرًا بتركه أمر الله تعالى واستنكافه أن يذل لآدم بالسجود له، ولم يكن تركه استنكافًا عن الله تعالى، ولا جحودًا منه لأمره، فاقتاس قوم ترك الصلاة على هذا، قالوا: تارك السجود لله تعالى وقد افترضه عليه عمدًا وإن كان مقرًّا بوجوبه أعظم معصية من إبليس في تركه السجود لآدم؛ لأن الله تعالى افترض الصلوات على عباده واختصها لنفسه، فأمرهم بالخضوع له بها دون خلقه، فتارك الصلاة أعظم معصية واستهانة من إبليس حين ترك السجود لآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فكما وقعت استهانة إبليس وتكبره عن السجود لآدم موقع الحجة فصار بذلك كافرًا فكذلك تارك الصلاة عمدًا من غير عذر حتى يذهب وقتها كافر[(١)].

١٣ ـ وقول النبي ﷺ في الوسوسة: «**إنه محضُ الإيمان ـ أو صريح الإيمان ـ**»[(٢)] إنما معناه: إذا نفى الوسوسة عن نفسه، فنفيه محض الإيمان، ليس الوسوسة محض الإيمان؛ ولكن نفيه، فأما الوسوسة إذا وقع في القلب فلم ينفها فهو الهلاك.

وأمَّا ما رُوي عن أصحاب النبي ﷺ: أنهم كانوا إذا فقدوا الوسوسة عدّوه نقصًا، فليس أن يكونوا عدوا فقد الوسوسة نقصًا؛ ولكن كانوا إذا أصابهم ذلك نفوها عن أنفسهم، فإذا لم يصبهم ذلك عدوه نقصًا؛ لأن نفي ذلك عندهم فضيلة[(٣)].

١٤ ـ وليس بين أهلِ العلم اختلافٌ أن القرآن كلام الله وليس

(١) «تعظيم قدر الصلاة» (٩٩٧).
(٢) رواه مسلم (٢٥٧ و٢٥٩).
(٣) «السُّنة» لحرب (٦٦٤).

بمخلوقٍ، وكيف يكون شيءٌ مِن الرَّبِّ عزَّ ذكره مخلوقًا؟! ولو كان ما قالوا لكان يلزمهم أن يقولوا: علمه وقُدرته ومشيئته مخلوقة.

فإن قالوا ذلك؛ لزمهم أن يقولوا: كان الله تبارك اسمه ولا علم، ولا قُدرة، ولا مشيئة؛ وهو الكفر المحض الواضح، لم يزل الله عالمًا مُتكلِّمًا، له المشيئةُ والقدرةُ في خلقِهِ.

والقرآنُ كلام الله وعلمه ووحيه وليس بمخلوقٍ، فمن زعم أنه مخلوق فهو كافر[1].

ولقد ذكر سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال: أدركت مشيختنا منذ سبعين سنة فمن دونهم يقولون: الله الخالق، وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله، منه خرج وإليه يعود.

وقد أدرك عمرو بن دينار أجلة أصحاب رسول الله ﷺ من البدريين والمهاجرين والأنصار مثل: جابر بن عبد الله، وأبي سعيد الخدري، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم، وأجلة التابعين رحمة الله عليهم، وعلى هذا مضى صدر هذه الأمة لم يختلفوا في ذلك[2].

١٥ ـ ومن قال: لا أقول: (القرآن غير مخلوق)؛ فهو جهمي[3].

١٦ ـ والواقفه شرٌّ ممن قال القرآن مخلوق؛ لأنهم يقتدي بهم غيرهم[4].

---

(١) «السُّنة» لحرب (٣٥٩) واللالكائي (٣٦٧ و٤٤٧) و«الأسماء والصفات» للبيهقي (٥٣٢).

(٢) «الأسماء والصفات» للبيهقي (٥٣٢).

(٣) «الشريعة» للآجري (١٨٦).

(٤) اللالكائي (٥٣٨).

١٧ ـ واللفظية قوم سوء، وهم مبتدعة[(١)].

١٨ ـ ومن قال: (لفظه بالقرآن مخلوق)؛ فهو جهمي، ومن قال: (لفظه بالقرآن غير مخلوق)؛ فقد ابتدع وأحدث في الإسلام أمرًا لا نعرفه، أدركنا مشايخنا وأئمتنا مثل: معاذ ويزيد فما أدركنا أشدّ منهما على أهل البدع، فما سمعناهما ولا غيرهما ممن شهدنا يقول هذا القول.

وقد صحَّ عندنا عن إمامنا وإمام المسلمين في زمانه أحمد بن محمد بن حنبل أنه نهى أن يقال: (لفظي بالقرآن غير مخلوق)، وقال: ما سمعت عالمًا قال هذا، ولا بلغنا عن عالمٍ أنه قاله منذ بعث الله محمدًا ﷺ وإلى زماننا هذا.

وإنما نحن أصحاب اتباع وتقليدٍ لأئمتنا وأسلافنا الماضين رحمهم الله، لا نُحدث بعدهم حدثًا ليس في كتاب الله، ولا في سُنَّة رسول الله ﷺ، ولا قاله إمام، فمن خالف أبا عبد الله في هذا هجرناه، وحذرناه، وحذرنا عنه حتى يرجع إلى قول أبي عبد الله والعلماء[(٢)].

١٩ ـ وإذا قال الرجل: القرآن ليس مخلوقًا؛ ولكن قراءتي أنا إيَّاه مخلوقة، لأني أحكيه، وكلامنا مخلوق؛ فهو مبتدع، ولا يقار على هذا حتى يرجع عن هذا، ويدع قوله هذا[(٣)].

٢٠ ـ ومَن قال: (إن القرآن مُحدثٌ) على معنى: مخلوق؛ فهو كافرٌ بالله العظيم.

(١) اللالكائي (٦٠٥ و٦٠٦).
(٢) الخلال (٢١٧٩).
(٣) اللالكائي (٦٠٤).

ومعنى قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] أي: مُحدث مِن العرشِ، آخر ما نزلَ مِن الكتبِ مِن العرشِ. وهو أحدثُ الكتبِ عهدًا بالرحمٰن(١).

٢١ ـ وأما حديث: «**يجيءُ القرآن يوم القيامة في صورة الرجل الشاب الشاحب**»(٢)، فهو إنما يجيء ثواب عمله خيال كالرجل ليس خلق مخلوق، وجاء في الحديث: «**الحجر الأسود يوم القيامة له عينان ولسان**»(٣)، ولقد جاءنا عن النبي ﷺ: «**إذا أُدخِلَ الرجل الصالح القبر أتاه عمله الصالح على أحسن صورة فيقول: أنا عملك الصالح**»(٤)، إنَّما يجيء ثواب عمله وهو خيال؛ كيف يُدرك صفة هذا بالعقول؟! وقد نهينا عن تكلف علم هذا، وإنما التعبد والاستسلام(٥).

٢٢ ـ وإن اللهَ تبارك وتعالى وصفَ نفسَه في كتابه بصِفاتٍ استغنى الخلقُ أن يصِفوه بغير ما وصفَ به نفسَه؛ مِن ذلك: قوله: ﴿يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

وقوله: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [الزمر: ٧٥].

---

(١) «السُّنة» لحرب (٣٦٤).

(٢) رواه أحمد (٢٢٩٥٠)، وابن ماجه (٣٧٨١)، وإسناده حسن.
(والشاحب): شحب يشحب لون الرجل شحوبًا إذا تغير من هزال، أو عمل، أو سفر. «تهذيب اللغة» (٤/ ١١٤).

(٣) رواه الترمذي (٩٦١) وحسنه، وصححه ابن خزيمة في «صحيحه» (٢٧٣٥).

(٤) رواه أحمد (١٨٥٣٤)، وابنه عبد الله في «السنة» (١٤١٩)، وانظر بقية تخريجي له هناك، وهو حديث صحيح.

(٥) «ذم الكلام» (١٢٠٢).

وآيات مثلها يصِفُ العرشَ.

وقد ثبتت الرِّواياتُ في العرشِ، وأعلى شيء فيهِ وأثبته قولُ الله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥][(١)].

٢٣ ـ وأجمع أهل العلم أنه فوق العرش استوى، ويعلم كل شيء أسفل الأرض السَّابعة، وفي قعور البحار، ورؤوس الجبال، وبطون الأودية، وفي كلِّ موضع كما يعلم ما في السَّموات السَّبع، وما دون العرش، أحاط بكلِّ شيءٍ علمًا، ولا تسقط من ورقةٍ إلَّا يعلمها، ولا حبَّةٍ في ظلمات الأرض إلَّا قد عرف ذلك كلّه وأحصاه، لا يعجزه معرفة شيءٍ عن معرفةِ غيره[(٢)].

٢٤ ـ ومعنى قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] أي: حيث ما كنتَ هو أقربُ إليك مِن حبلِ الوريدِ، وهو بائنٌ مِن خلقِهِ بحدٍّ[(٣)].

٢٥ ـ والله عَزَّ وَجَلَّ سميعٌ بسمع، بصيرٌ ببصر، قادرٌ بقدرة[(٤)].

٢٦ ـ وينزلُ اللهُ كلَّ ليلةٍ إلى السَّماءِ الدنيا كما شاء وكيف شاء، وليس فيه صِفة[(٥)]، لقوله ﷺ: «**ينزلُ اللهُ كلَّ ليلةٍ إلى السَّماءِ**

---

(١) «السُّنة» لحرب (٣٤٧) و«الإبانة الكبرى» (تتمة الرد على الجهمية) (١١٩).

(٢) «السُّنة» للخلال كما في «اجتماع الجيوش» (ص١٤٠).

(٣) «السُّنة» لحرب (٣٣٦).

(٤) اللالكائي (٥٢٥).

(٥) أي ليس في إثبات النزول لله تعالى على ما يليق به سبحانه تشبيهًا ولا تكييفًا.
وفي «ذم الكلام» قال إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليس في نزوله وصف.
وفي «الحجة في بيان المحجة» (١٢٨/٢): قال إسحاق: قال لي الأمير =

الدُّنيا»[(١)].

ولا يجوزُ الخوضُ في أمرِ الله، كما يجوز الخوض في فعلِ المخلوقِين، لقول الله تبارك وتعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣].

ولا يجوز لأحدٍ أن يتوهَّم على الخالقِ بصفاته وفعاله توهُّم ما يجوز التَّفكر والنَّظر في أمرِ المخلوقين، وذلك أنه يمكن أن يكون موصوفًا بالنُّزول كُلّ ليلةٍ إذا مضى ثلثها إلى السَّماءِ الدنيا كما شاء، ولا يُسأل: كيف نزوله؟ لأنه الخالق يصنع ما شاء كما شاء[(٢)].

٢٧ ـ وصحَّ عن النبي ﷺ أن الله ينزل كلَّ ليلةٍ حين يبقى ثلث الليل الآخر إلى السَّماء الدنيا، وأن النار اشتكت إلى ربها حتى يضع قدمه فيها، وأنه قال: **«إنَّ آدمَ خُلِقَ على صُورةِ الرَّحمن»**[(٣)]، وإنَّما عليه أن ينطق بما صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه نطق به.

ولا يدع هذه الأحاديث إلَّا مبتدع، أو ضعيف الرأي[(٤)].

= عبد الله بن طاهر: يا أبا يعقوب، هذا الحديث الذي ترويه عن رسول الله ﷺ: **«ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا»** كيف ينزل؟ قال: قلت: أعزَّ الله الأمير، لا يقال لأمر الرب: كيف؟ إنما ينزل بلا كيف.

(١) رواه البخاري (٧٤٩٤)، ومسلم (١٧٢١).

(٢) «السُّنة» لحرب (٣٥٥)، و«ذم الكلام» للهروي (١١٩٢).

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٤٨٢). وقد صححه أحمد وإسحاق رحمهما الله، كما بينت ذلك في تحقيقي لكتاب «السنة» لعبد الله بن أحمد. وقد أجمع أهل السنة والجماعة على أن الضمير في هذا الحديث يعود إلى الله تعالى، وأن الحديث يُمر على ظاهره خلافًا للجهمية، كما بينت ذلك في تعليقي على كتاب «إثبات الحد لله تعالى» للدشتي (٤٥).

(٤) «السُّنة» لحرب (٥٦٤) و«الإبانة الكبرى» لابن بطة (التتمة) (١٦٠ و١٩٧ و٢٥٨).

٢٨ ـ وإذا قال لك الجهمي: كفرت برب ينزل من سماء إلى سماء. فقل: آمنت برب يفعل ما يشاء[١].

٢٩ ـ وقد مضت السُّنة من رسول الله ﷺ بأن أهل الجنَّة يرون ربهم، وهو من أعظم نِعَم أهل الجنَّة.

وقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] يقول: يومئذ مشرقة إلى ربها ناظرة إلى الجنة[٢].

وقول الله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] في الدنيا، وتصديق ذلك ما قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: من زعم أن محمدًا رأى ربه فقد كذب؛ لأن الله لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار.

فقد تحقق عند من عقل عن الله عَزَّ وَجَلَّ أن عائشة فسَّرت هذه الآية على الدنيا.

وتُفسِّرها المبتدعة على أنها في الدنيا والآخرة، فأسقطوا معنى هذه الآية: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

وبُيِّن ما وصفنا في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ٦٥] فأزال ذلك عن الكفار وثبتت الآية لأهل الجنة.

ولو لم يكن فيما وصفنا إلَّا ما سأل موسى ربه الرؤية في الدنيا لما كان قد علم أن أهل الجنة يرون ربهم، فيسأل ربه أن يريه في الدنيا، فبيَّن الله له قال: ﴿ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فلما تجلى ربه للجبل ساخ

(١) «الأسماء والصفات» للبيهقي (٩٥١).
(٢) كذا في «مسنده» ولعل الصواب: (ناظرة في الجنة).

الجبل ولم يقوَ على نظر الرب. قال موسى: سبحانك تبت إليك، وأنا أول من آمن بك[(١)].

٣٠ ـ ومن وصفَ الله فشبَّه صفاته بصفات أحدٍ من خلقِ الله فهو كافرٌ بالله العظيم؛ لأنَّه وصف لصفاته إنما هو استسلام لأمر الله ولما سنَّ الرسول ﷺ[(٢)].

٣١ ـ وعلامة جهم وأصحابه دعواهم على أهل الجماعة وما أُولعوا به من الكذب أنهم (مُشبِّهة)؛ بل هم المُعطِّلة، ولو جاز أن يقال لهم: هم المُشبِّهة لاحتمل ذلك، وذلك أنهم يقولون: إن الرب تبارك وتعالى في كلِّ مكانٍ بكماله في أسفل الأرضين، وأعلى السموات على معنى واحد؛ وكذبوا في ذلك ولزمهم الكفر[(٣)].

٣٢ ـ وإنما يكون التشبيه إذا قال: يدٌ كيد أو مثل يد، أو سمعٌ كسمعٍ أو مثل سمع، فإذا قال: سمع كسمع أو مثل سمع؛ فهذا التشبيه، وأما إذا قال كما قال الله تعالى: يد وسمع وبصر، ولا يقول: كيف؟ ولا يقول: مثل سمع، ولا كسمع، فهذا لا يكون تشبيهًا، وهو كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾[(٤)].

٣٣ ـ ولا يجوز التَّفكُّر في الخالقِ، ويجوز للعبادِ أن يتفكَّروا

---

(١) «مسند إسحاق» (٣/ ٦٧٢ ـ ٦٧٤).
(٢) اللالكائي (٩٣٧).
(٣) اللالكائي (٩٣٨).
(٤) «سنن الترمذي» (٣/ ٥١).

في المخلوقين بما سمعوا فيهم، ولا يزيدون على ذلك؛ لأنهم إن فعلوا تاهوا.

حدثنا أحمد بن الأزهر، قال: حدثنا محمد بن عُبيد، عن الأعمش، عن عَمرو بن مُرَّة قال: مرَّ النبي ﷺ على قومٍ يتفكَّرون قال: «**تفكَّروا في الخلقِ، ولا تفكَّرُوا في الخالقِ**»[١].

فالأشياءُ عند الله على معنى إرادتِهِ وحُكمه، وأظهرَ للعبادِ مِن العلمِ ما يكتفون به.

فينبغي الانتهاءُ إلى ما عُلِّمنا وحُدَّ لنا؛ حتَّى نصيبَ سبيلًا.

وفي التَّفكُّرِ في خلقِ الله مشغلة عن التفكَّرِ فيما لم نؤمر به.

وكيف يستوسع من يدَّعي العلمَ الخوض في الأشياء المنهية عنها؟

قال الله: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤].

فكيف يجوز لخلقٍ أن يخوضَ في التَّسبيح مِن الشَّجب[٢] والأشياء المعمولة فيخوضوا: كيف تُسبِّحُ القِصاعُ، والأخوِنة[٣]،

(١) رواه هنَّاد في «الزهد» (٩٤٥)، وقوام السنة في «الترغيب والترهيب» (٦٧٢).
وهو مرسل.
وللحديث شواهد ومتابعات يرتقي بها إلى درجة القبول والاحتجاج.
انظر: «الترغيب والترهيب» لقوام السنة (فصل في الترهيب من التفكر في الله).
واللالكائي (٣/ ٥٢٤/ سياق ما روى عن النبي ﷺ في النهي عن التفكير في ذات الله ﷻ).

(٢) في «غريب الحديث» لأبي عُبيد (٤/ ٤٥٦): يشجب شجبًا وشجوبًا إذا: عطب وهلك.

(٣) الخوان: ما يؤكل عليه الطعام. «تاج العروس» (٣٤/ ٥٠١).

والخبز المخبوز، والثِّياب المنسوجة؟ وكلُّ هذا قد صحَّ فيه العلم أنَّهم يُسبِّحون، فذلك إلى الله أن يجعل تسبيحهم كيف شاء وكما شاء، وليس للنَّاسِ أن يخوضوا في ذلك إلَّا بما علموا، ولا يتكلَّمون في هذا وشبهه إلَّا بما أمرَ الله، ولا يزيدون على ذلك، والله الموفِّق وعليه التَّوكُّل، فاتقوا الله ولا تخوضوا في هذه الأشياء المُتشابهة؛ فإنَّه يردكم الخوض فيه عن سُننِ الحقِّ[(١)].

٣٤ ـ ولله ﷻ تسعة وتسعون اسمًا، صحَّ ذلك عن النبي ﷺ أنه قاله[(٢)]، وأسماء الله غير مخلوقة.

٣٥ ـ والجهمية أفضوا إلى أن قالوا: أسماء الله مخلوقة؛ لأنه كان ولا اسم؛ وهذا الكفر المحض؛ لأن لله الأسماء الحسنى، فمن فرَّق بين الله وبين أسمائه وبين علمه ومشيئته فجعل ذلك مخلوقًا كله والله خالقها فقد كفر.

٣٦ ـ ولقد تكلَّم بعض من ينتسب إلى جهم بالأمر العظيم، فقال: لو قلت: إن للربِّ تسعة وتسعين اسمًا، لعبدت تسعة وتسعين إلهًا، حتى إنه قال: إني لا أعبد الله الواحد والصَّمد، إنما أعبد المراد به!

فأيُّ كلامٍ أشد فرية وأعظم من هذا! أن ينطق الرجل أن يقول: لا أعبدُ الله؟![(٣)].

٣٧ ـ والإيمان بأن الله تعالى يُجْلِسُ نبيه ﷺ على العرش،

---

(١) «السنة» لحرب (٤٣٤).
(٢) رواه البخاري (٦٤١٠)، ومسلم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) الفقرات (٣٤ ـ ٣٦) كلها من اللالكائي (٣٥٢).

والتسليم لذلك، ولا يرده إلَّا جهمي[١].

٣٨ ـ والخيرُ والشَّرُّ مِن الله مقدورٌ على عباده[٢].

٣٩ ـ وأفعال العباد كلها مخلوقة لله عَزَّ وَجَلَّ طاعاتها ومعاصيها[٣].

٤٠ ـ وقال ﷺ: «خيار أئمتكم الذين تُحبونهم ويحبونكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم».

قالوا: يا رسول الله أفلا ننابذهم بالسَّيف؟

قال: «لا ما أقاموا فيكم الصَّلاة، وإذا رأيتم من واليكم شيئًا تكرهونه، فاكرهوا عمله، ولا تنزعوا يدًا من طاعة».

قال: والسُّنة عليه، وفيها هلاك المرجئة[٤].

٤١ ـ والحرورية إذا دعوا إلى ما هم عليه إلى دينهم فقاتلهم، وإذا طلبوا مالك فقاتلهم، وأما إذا قالوا: نكون وُلَاتكم فلا يقاتلون[٥].

٤٢ ـ ويقاتلُ اللص إذا كان مقبلًا، وإذا ولَّى فلا يقاتل[٦].

٤٣ ـ ولم يكن بعد رسول الله ﷺ على الأرض أفضل من أبي بكر، ولم يكن بعده أفضل من عمر، ولم يكن بعده أفضل من عثمان، ولم يكن بعد عثمان على الأرض خير ولا أفضل من علي[٧].

---

(١) «السُّنة» للخلال (٢٥٠).
(٢) «السُّنة» لحرب (٢٠٨).
(٣) اللالكائي (٢/ ٤٧٩).
(٤) «مسند أبي عوانة (٧١٨٦). والحديث رواه مسلم (١٨٥٥).
(٥) «السُّنة» للخلال (١١٣).
(٦) «السُّنة» للخلال (١٦٩).
(٧) «السُّنة» لحرب (٤٨٨) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١٨٥).

٤٤ ـ ونترحَّم على أبي بكر وعمر، ونتبرَّأُ ممن يبغضهما(١).

٤٥ ـ ومَن قدَّمَ عليًّا على عثمان فهو مُخطئ(٢).

٤٦ ـ وعلي رضي الله عنه أفضلُ الأُمَّةِ يومئذٍ، وهو خليفةٌ عدلٌ. يعني: بعد عثمان(٣).

٤٧ ـ ومن شتم أصحاب النبي ﷺ يُعاقب ويُحبس(٤).

٤٨ ـ ويحقُّ عليك أن تعرِفَ وتستيقِنَ أن ما صَحَّ عن النبي ﷺ أنه قال في الجنَّةِ؛ فهو في الجنَّة.

كذلك الأمرُ عند أهلِ العلمِ مِن غيرِ أن ينصبَ الشَّهادة(٥).

٤٩ ـ ومضتِ السُّنة من النبيِّ ﷺ، والخلفاءِ من بعده، واجتمعَ علماءُ الأمصار على ذلك: أن لا يشهدَ أحدٌ على أحدٍ بعدَ النبيّ ﷺ أنه في الجنَّةِ لصلاحِهِ وفضلهِ وسوابقِهِ، ولا أحد أنه مِن أهل النَّارِ لارتكاب المعاصي والذُّنوب، ونكِلُ ذلك إلى الله فإنه الذي يتولَّى السَّرائر(٦).

٥٠ ـ وأتت هذه الآية: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧] على كلِّ وعيدٍ في القرآن(٧).

---

(١) «السُّنة» للخلال (٣٨٩).
(٢) «السُّنة» لحرب (٥٠٢).
(٣) «السُّنة» لحرب (٤٨٨).
(٤) «الصارم المسلول» لابن تيمية (٣/ ١٠٥٨).
(٥) «السُّنة» لحرب (٢٥٦).
(٦) «السُّنة» لحرب (٢٥٦).
(٧) «السُّنة» لحرب (٤٣٨) وزاد: (لأهل التوحيد).

٥١ ـ والذي يعتمد عليه أن أطفال المشركين لا ينزلون جنةً ولا نارًا حتى يكون الله عَزَّ وَجَلَّ هو الذي ينزلهم.

وأما أولاد المسلمين فإنهم من أهل الجنة؛ ولكن لا يجوز لأحدٍ أن يشهد لولد مسلم بعينه أن هذا من أهل الجنة كنحو ما يقول: المؤمنون أهل الجنَّة، ولا ينصب أحدًا بعينه(١).

٥٢ ـ والسُّنة في عرض الإسلام على أهل الذمة أن يقول: (أشهد أن لا إلٰه إلَّا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، وأقررت بكل ما جاء من عند الله عَزَّ وَجَلَّ، وبرئت من كل دين سوى دين الإسلام).

فهذا العرض التام الذي اجتمع العلماء على قبول ذلك وصيَّروه دخولًا في الإسلام وبراءة من الشِّرك.

فإن اقتصر العارض على المشرك الإسلام على شهادة أن لا إلٰه إلَّا الله، وأن محمدًا رسول الله، ودخوله في الإسلام إذا كان ذلك على معنى الدخول في الإسلام، كما قبل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث دخل مدراس اليهود(٢) فعرض على اليهودي الإسلام ـ قدر هذا، فلما قاله ومات اليهودي، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«صلوا على أخيكم»**(٣).

وإنما احتطنا أن يكون الذي يعرض على الذمي الإسلام يعرض عليه الخصال الأربع؛ لكي لا يكون عليه خلاف من العلماء(٤).

---

(١) الكوسج (٣٤٠٥)، و«السُّنة» لحرب (٦٦١).

(٢) مدراس اليهود: كنيستهم، والجمع مداريس، كما في «المصباح المنير» (ص١٩٢).

(٣) رواه أحمد (١٢٧٢٦)، وهو حديث صحيح.

(٤) «مسائل الكوسج» (٣٣٧٠).

٥٣ ـ ومما أجمعوا على تكفيره وحكموا عليه كما حكموا على الجاحد؛ فالمؤمن الذى آمن بالله تعالى وبما جاء من عنده ثم قتل نبيًّا، أو أعان على قتله، وإن كان مُقرًّا ويقول: قتل الأنبياء محرمٌ فهو كافر، وكذلك من شتمَ نبيًّا، أو ردَّ عليه قوله من غيرِ تقيَّةٍ ولا خوف[١].

٥٤ ـ وكل شيء من الوقيعة في الله عز وجل، أو في شيء أنزل الله تعالى على أنبيائه؛ فهو كفر يخرجه من إيمانه، وإن كان مقرًّا بكلِّ ما أنزل الله تعالى[٢].

٥٥ ـ وأهل البدع يستوجبون اللعنة[٣].

٥٦ ـ وكتب أهل البدع التي فيها إرجاء، أو قدر، أو رأي جهم، أو بدعة: تُرمى أو تُحرق، ومن سرقها أو أخذها ليتلفها؛ فليس عليه شيء[٤].

٥٧ ـ وأهل البدع ليست لهم حرمة، ولا غيبة، وكذا أهل الشرك ليست لهم غيبة؛ ولكن أكره أن يعوِّد الرَّجل لسانه[٥].

(١) «تعظيم قدر الصلاة» للمروزي (٩٩١).
(٢) «تعظيم قدر الصلاة» للمروزي (٩٩٤).
(٣) «السنة» لحرب (٦٠١).
(٤) «السنة» لحرب (٦٠٢)، والخلال (٨٢٣).
(٥) «السنة» لحرب (٦٣٥).

رسالة إسحاق بن راهويه رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأبي زرعة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الوصية بالسُّنة

• قال ابن أبي حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الجرح والتعديل» (١/ ٣٢٩):

قرأت كتاب إسحاق بن راهويه بخطه إلى أبي زرعة:

إني أزداد بك كل يوم سرورًا، فالحمد لله الذي جعلك ممن يحفظ سُنَّته، وهذا من أعظم ما يحتاج إليه اليوم طالب العلم.

وأحمد بن إبراهيم لا يزال في ذكرك الجميل حتى يكاد يفرط، وإن لم يكن فيك بحمد الله إفراط، وأقرأني كتابك إليه بنحو ما أوصيتك من إظهار السُّنة، وترك المداهنة، فجزاك الله خيرًا.

فدُم على ما أوصيتك، فإن للباطل جولة ثم يضمحل، وإنك ممن أحب صلاحه وزينه.

وإني أسمع من إخواننا القادمين ما أنت عليه من العلم والحفظ فأُسر بذلك.

